جوني منصور*

العقيدة والسياسة، الزمان والمكان في اناشيد الجوقات العسكرية الاسرائيلية

«ان المؤرخ العسكري ورجل الفكر الذي سيجري بحثا تحليليا ودراسة حول مركبات القوة للجيش الاسرائيلي من المفضل ان يوجه عنايته اولاً الى اغاني واناشيد الجوقات العسكرية، لكونها مثلت وعكست اكثر من اي كتاب او بحث او برنامج اعلامي الروح الخاصة والمميزة للجيش الاسرائيلي بكافة فرقه»، بهذه الكلمات افتتح موتي غور- رئيس اركان الجيش الاسرائيلي السابق كتابا خاصا باغاني واناشيد الجوقات العسكرية الاسرائيلية الصادر عن وزارة الدفاع العام ١٩٨٣ ..

هذه الكلمات لم تأت بالصدفة على وجه الإطلاق، فمراجعة الأناشيد والأغاني العسكرية تبين لنا مدى ارتباطها بطرق واشكال التربية اليومية والعسكرية التي تنتهجها قيادة الاركان العسكرية في اسرائيل.

ومن الملاحظ ان هذه التربية العسكرية غير محصورة في فترة الخدمة العسكرية الالزامية التي يتوجب على الاسرائيلي تأديتها، بل انها تستمر في قطاعات اخرى من الحياة العامة والخاصة للاسرائيليين، فمثلا المرحلة التعليمية في المدارس حيث للتربية العسكرية حصة لا بأس بها، والحركات الكشفية كذلك وحركات الشبيبة في اعمار تسبق الثامنة عشرة (سن التجنيد الالزامي)، والتنظيمات الحزبية المختلفة، والنوادي الاجتماعية والثقافية وغيرها كثير، وكلها تُركز جهودها على التربية العسكرية. وبناء على هذه الرؤية العسكرية فإن الدمج بين العسكرة والحياة العامة اصبحا ركنين اساسيين لحياة الاسرائيليين.

سنقوم بهذه المقالة بمراجعة شاملة لعدد كبير من الاغاني والاناشيد العسكرية الاسرئيلية التي انشدتها جوقات عسكرية وتناقلتها فيما بعد جوقات خاصة ومدرسية متنوعة.

وسيتمحور المقال على الجوانب العقيدية والسياسية والزمانية والمكانية في هذه الاناشيد وذلك من منطلق الزخم الذي تتواجد فيه هذه المجالات.

* عميد الطلاب في كلية مار الياس، ومحاضر في كلية بيت بيرل"

واضافة الى ذلك فإننا سنبني جداول تبين للقارىء اهمية استخدام الزمان والمكان في استثمار الفكر العقيدي الصهيوني والاسرائيلي في الاناشيد.

اما الجوقات العسكرية التي سيرد ذكرها هنا فهي: الناحال، سلاح المدرعات، سلاح الجو، سلاح البحرية، سلاح المظليين، سلاح المدفعية، سلاح التربية، قيادة الجنوب، قيادة المركز، قيادة الشمال.

اناشيد جوقة الناحال

١ واحد طويل وإثنان قصيران

٢ اي طيور

٣ نحن وانتم

٤ في وطن حبي

٥ في مستوطنة الناحال في سيناء

٦ بفستان احمر

٧ تعال يا مطر

٨ دينا برزيلاي

٩ هو لم يعرف اسمها

١٠ هو ليس حكيماً بما فيه الكفاية

١١ هورا مستوطنة

١٢ هورا نتغلب

١٣ الرحلة الكبرى

١٤ كنت شاباً

١٥ تجدد من نوع اخر

١٦ فالس لحماية النبات

١٧ غناء كهذا

١٨ شواطىء

١٩ عطلة بالاحمر

٢٠ غابة اليوكاليبتوس

٢١ يا قمر

٢٢ يا مشلاطي

٢٣ توجد ازهار

٢٤ يوجد بنات

٢٥ صف مجهول

٢٦ كرمليت

٢٧ لأحد الجنود

٢٨ مقابل جبل سيناء

٢٩ غداً

٣٠ مظلة لإثنين

٣١ ملاك من سلم يعقوب

٣٢ نتمسك بكل مشلاط

٣٣ سرنادا لعاده

٣٤ عقبال ١٢٠

٣٥ لم نأكل بعد

٣٦ لقاء مع غريب

٣٧ ورود وصبايا

٣٨ كرنفال في الناحال

٣٩ عند نبع وبحر

٤٠ ريح خريفي

٤١ راحيل و راحيل

٤٢ أُغنية الناحال

٤٣ أُغنية السلام

٤٤ سكون

٤٥ ١٢ طناً

وتعتبر جوقة الناحال من اكبر واهم الجوقات العسكرية في الجيش الاسرائيلي وتتمتع الجوقة بشعبية واسعة جدا واناشيدها معروفة للجمهور الاسرائيلي وتنشد في مناسبات عديدة، وليس حصرا بما له علاقة بالمناسبات العسكرية او حالا ت الطوارىء.

اناشيد جوقة المدرعات

١ اخي الصغير يهودا

٢ بعد المغيب في الحقل

٣ كيف يمكن

٤ بنتسي السمين

٥ الأُم المثالية

٦ الليلة الاولى بدون أُم

٧ من حلم

٨ بكل بساطة مدرّع

٩ درس في التاريخ

١٠ مدرعات ٦٩

اناشيد جوقة سلاح الجو

١ ملزمون في متابعة العزف

٢ دائماً تعلو النغمة

اناشيد جوقة سلاح البحرية

١ رجال الصمت

٢ تعال الى البحر

٣ ملاحي

٤ حسكة

٥ قرصان اديشي

٦ على قارعة الطريق

٧ فقط في اسرائيل

اناشيد جوقة المظليين

١ حول النار

٢ في وطني حبي

اناشيد جوقة سلاح المدفعية

١ في ليالي الصيف الحارة

٢ أُمور صغيرة

٣ انتعاشة الصباح

٤ ورود في الفوهة

من اناشيد جوقة سلاح التربية

١ اولاد الخريف

اناشيد جوقة قيادة الجنوب

١ العاد

٢ ارض اسرائيل الجميلة

٣ في دورية شاكيد

٤ من الجنوب ينطلق الجيد

٥ ثناء القوة

٦ الى ايلات

٧ الى اللقاء

٨ مجهولون

اناشيد جوقة قيادة المركز

١ نحن من نفس القرية

٢ بن غوريون

٣ تلة التحموشيت

٤ هوبا هيه

٥ اليوم اليوم

٦ سائقنا محبوب

٧ جنود خرجوا إلى الطريق

٨ تانغو وردية

٩ اليوم الثامن في الاسبوع

١٠ عند محبوب في دورية خروب

١١ لديك ما لديك

١٢ ضابطة

١٣ اصوات الحقل

١٤ الضوء والازرق

١٥ حارس الاسوار

١٦ أُغنية مظلي

اناشيد جوقة قيادة الشمال

١ تعال معي الى الجليل

٢ في الليل على العشب

٣ إذا عُدتَ

٤ بسبب مسمار

٥ الجينجي

٦ ياعيل

٧ كوكب الشمال

٨ الى الشمال مع الحب

٩ مملكة الحرمون

١٠ رقم شخصي ٩٤٧٢٠٨

١١ حلو حلو

١٢ دورية أغوز

١٣ مرج دوثان

١٤ شيء من هذا وشيء من هذا

البعد التوراتي في الاناشيد العسكرية

تعتمد الاغنية او الانشودة العسكرية الاسرائيلية على المكونات والمركبات الايديولوجية. وهذه المكونات هي من الأُسس المركزية في الحياة الاسرائيلية العامة. ومن ابرز هذه المكونات مسألة الوطن والارض والتضحية والانتماء وامتلاك التاريخ والعودة الى ارض الاباء والاجداد التي منحها الله لشعبه المختار.

وتتغذى الاناشيد العسكرية بروافد عقيدية دينية- توراتية وصهيونية متنوعة، وذلك بهدف تعميق مفهومها لدى المنشدين والمستمعين من الجنود الاسرائيليين وبقية شرائح المجتمع الاسرائيلي.

وتعتبر التوراة احد المزودين المركزيين للأناشيد، فكثيرة هي النماذج والعينات التي اقتبست من التوراة واستخدمت في الاناشيد العسكرية الاسرائيلية، ففي نشيد جوقة الناحال «في مستوطنة الناحال في سيناء» اشارة واضحة الى الصلة والعلاقة القوية بين ما يقوم به الجيش الاسرائيلي وما طرحته التوراة سابقاً. فعندما وصل الجنود الى سيناء في حرب الايام الستة العام ١٩٦٧ تعرفوا من خلال سيناء على ارض اسرائيل القديمة:

« في مستوطنة الناحال في سيناء،

لم تصدق عيني

عندما قابلت فجأة في الزاوية

ارض اسرائيل القديمة

ارض اسرائيل المفقودة

الجميلة والمنسية

وهي وكأنها تمد يدها

لتعطي لا لتأخذ»

وتعمق الانشودة علاقة الاسرائيليين بأرض اسرائيل من خلال صياغة فكرة ان الكيبوتس رغم حداثة تكوينه الا ان جذوره ضاربة في التاريخ اليهودي، وهذا ما اشارت اليه الانشودة السابقة نفسها.

وتبنت انشودة «ملاك من سلم يعقوب» الفكر التوراتي المتعلق بالارض في نشيد مطلعه:

«في الصباح على عشب بيتي الرطب

نزل من السماء

بجناحين بيض

ملاك من سلم يعقوب

-من اين تأتي والى اين تذهب ؟

من بلاد النقب الى بلاد جلعاد

-من سترى يا ملاكنا الحسن؟

خيمة عيسو وبيت يعقوب...»

والنص التوراتي الذي اوحى بهذه الانشودة: «ورأى {يعقوب} حلما وإذا سلم منصوبة على الارض ورأسها يمس السماء. وهو ذا ملائكة الله

وعالجت اناشيد الجوقات العسكرية قضية اليهود السجناء في روسيا والذين اطلقت عليهم الحركة الصهيونية واسرائيل «سجناء صهيون» واثارت قضيتهم في كل بقاع الدنيا للدلالة على ديكتاتورية ووحشية النظام السوفييتي الشيوعي ومعاملته العنصرية تجاه اليهود المطالبين بالحرية والديمقراطية، وكان المسعى الاسرائيلي خلال الستينيات والسبعينيات هو من اجل اطلاق سراحهم باعتبارهم سجناء حرية على حد تعبير السلطات الاسرائيلية والهيئات الصهيونية العالمية.

صاعدة ونازلة عليها. وهو ذا الرب واقف عليها، فقال: أنا الرب إله ابراهيم وإله اسحاق. الارض التي انت مضطجع عليها أُعطيها لك ولنسلك. ويكون نسلك كتراب الارض وتمتد غربا وشرقا وشمالا وجنوبا. ويتبارك فيك وفي نسلك جميع قبائل الارض. وها انا معك وأحفظك حيثما تذهب وأرُدُّك الى هذه الارض. لأني لا اتركك حتى افعل ما كلمتك به» (سفر التكوين ٢٨).

هذه العلاقة التي ترسمها التوراة بين الاسرائيلي والارض تحت مظلة الله الواقية متعمقة في الفكر الصهيوني من منطلق ان الله وعد شعبه بهذه الارض، وانه مهما تغرب وتشرد هذا الشعب فإن الله سيقف الى جانبه وسيرده الى موطنه. وبناء على هذه العقيدة التوراتية والسياسية المتبناة اعتمد النشيد السابق فكرة السلم الذي نزل عليه الملائكة لحماية يعقوب وشعبه. فمهما جابت الملائكة في ارض اسرائيل من الشمال وحتى الجنوب وبالعكس فإنها (اي الملائكة) ستجد بيت يعقوب قائم على هذه الارض ولن يجدوا اي بيت اخر.

وفي انشودة اخرى لجوقة الناحال بعنوان «مقابل جبل سيناء» تظهر العقيدة اليهودية قوية فيها بحيث وردت اشارة واضحة الى العليقة المشتعلة التي اظهرها الله لموسى لينقذ شعبه. ولكن الانشودة طورت هذا التوجه بالاشارة الى الواقع الحالي في سيناء بعد احتلالها على يد اسرائيل في العام ١٩٦٧ في ان الشعب الاسرائيلي عاد الى الوقوف على جبل سيناء، وهذا الجبل قد نزلت عليه التوراة وسلمت لموسى النبي. وان العليقة او الشعلة ما زالت مشتعلة لتضيء درب الشعب الاسرائيلي نحو التحرر والحرية بمفهومه التوراتي الخاص.

وفي اعقاب العدوان الثلاثي على مصر (١٩٥٦) والذي كان فيه لإسرائيل حصة مركزية حيث قامت بإحتلال شبه جزيرة سيناء، وتهللت الاصوات الاسرائيلية التي رأت في هذا الانتصار امتدادا لما حققته اسرائيل والصهيونية العام ١٩٤٨ من انتصار على الجيوش العربية ودحرها واقامة اسرائيل ليس فقط على مساحة الاراضي التي قررتها الامم المتحدة في قرار التقسيم لعام ١٩٤٧ وانما اكثر من ذلك بكثير.

وانشدت جوقة الناحال نشيدا بعنوان« عقبال ١٢٠» اشارت فيه الى القوة الاسرائيلية التي بلغت الى الاوج في عقد من الزمن بعد اقامتها، والملفت للانتباه هنا انه تم الاستفادة من الحدث التوراتي الخاص بتسديد عشر ضربات على المصريين وحماية الاسرائيليين بواسطة علامات وضعت على مداخل بيوتهم (سفر الخروج ١٢). ولكن كاتب هذا النشيد استثمر الحدث التوراتي مع الانتصار العسكري الذي حققه الجيش الاسرائيلي بقوله:

«وسنبارك ناصر بضربات كثيرة

لأن العشرة السابقة ليست كافية

عقبال ١٢٠»

وتبنى الاناشيد العسكرية ما ورد في التوراة وتعتبره موردا معلوماتيا وعقائديا مهماً، فأنشودة «رجال الصمت» لسلاح البحرية تؤكد الصلة الحميمة بين الجنود ومعتقدهم الديني من خلال اختيار احداث نبوية بطولية لترفع من معنويات الجنود ولتشير الى تواصل كفاح ونضال الاسرائيليين على مر التاريخ. والاشارة الى قصة يونان النبي في جوف الحوت. حيث تفيدنا التوراة ان الله امر يونان بالذهاب الى نينوى عاصمة الامبراطورية الاشورية ليعلن خرابها. ومحاولة يونان التملص من هذا الامر. وابحاره على متن سفينة ذاهبة الى اسبانيا. وحدوث عاصفة هوجاء ادعى نوتية السفينة انها بسبب عصيان يونان فأُلقي به في البحر فابتلعه حوت كبير وبعد ثلاثة ايام قذفه الحوت الى البر (سفر يونان ١). وينشد افراد جوقة سلاح البحرية النشيد المذكور مشيرين فيه الى ان قوة الجندي الاسرائيلي تفوق تلك التي امتلكها يونان وذلك بقولهم:

«نحن من مؤيدي التوراة

يونان النبي عندنا طلسم

هو نفسه اختفى ليومين او ثلاثة

اين اختفى هو ليومين ثلاثة

اين كان- احد لا يعرف.

وكما انه في التوراة يجب تسديد الضربات

نحن سنفتتح هذا بالدم والضفدع»

والملاحظ هنا الربط بين ضربات الله على المصريين وحماية اليهود واختفاء يونان ثم ظهوره وعودته الى طاعة الله والتقيد بأوامره وتعليماته. وهكذا الجنود الاسرائيليون سيتقيدون بالتوراة واسس القتال وحتى لو اختفى منهم جنود فسيظهرون في وقت لاحق ويتابعون قتالهم بضراوة وشدة.

ويتعمق الارتباط بالتوراة في اناشيد الجوقات العسكرية بالاشارة الى ان التوراة هي مصدر النور لطريق الاسرائيليين، وان ارض اسرائيل تنتظرهم، وقصة التوراة والله واحد بالنسبة للاسرائيليين. وانه بحدوث هذا الالتقاء المتجدد بين الله وبين الاسرائيليين على الارض التي منحهم اياها فإن الفرح سيعم البلاد والملائكة ستحرس اعلى قمم للجبال والتي تبلغ الفي متر. وبهذا تكون الاشارة هنا الى جبل الشيخ، على اعتبار ان جبل الجرمق ارتفاعه حوالي ١٢٠٨ امتار. وبناء عليه فإن جبل الشيخ الوارد ذكره في التوراة لا يدخل في اطار الحدود السياسية لاسرائيل وبمعنى ان الانشودة تشير الى امتداد السيطرة الاسرائيلية على جبل الشيخ (حرمون) من منطلق ارتباط اسم الجبل بالتوراة.

«التوراة تضيء لنا

وقصة الفصح

والله واحد لنا

ارض اسرائيل جميلة

ارض اسرائيل تُزهر..«انشودة ارض اسرائيل جميلة» لجوقة الجنوب.

البعد القومي- الصهيوني

تزخر اناشيد الجوقات العسكرية الاسرائيلية بمركبات وتعابير لها علاقة قريبة او بعيدة، مباشرة او غير مباشرة بالبعد القومي- الصهيوني. ولا يتوقف الامر عند هذا الحد بل تم اختيار تعابير ومصطلحات تتكرر عشرات المرات بهدف تأكيدها وصلتها بالغاية الصهيونية الاساسية، وهي ان فلسطين (ارض اسرائيل) هي ارض الاباء والاجداد ولا تنازل عن حق الشعب اليهودي في ارضه. وتسعى الاناشيد الى غرس روح التضحية والانتماء في نفوس وقلوب اليهود، وخاصة الجنود منهم:

«من شدة حبه لصهيون قبض على متهمين في شومرون...» (من انشودة «لدي محبوب في دورية خروب» لجوقة قيادة المركز).

واهتم واضعو هذه الاناشيد بالتركيز على كلمات معينة كـ «اسرائيل» و«اورشليم» في عشرات من الاناشيد والقصائد المغناة. والمسألة هنا موجهة بكل معنى الكلمة، فكلمة «اسرائيل» في انشودة«فقط في اسرائيل» لجوقة سلاح المظليين وردت ست عشرة مرّة على النحو التالي:

« كل الشعب في الاحتياط-

فقط في اسرائيل.

المتطوعون مسرورن-

فقط في اسرائيل.

اورشليم الذهبية-

فقط في اسرائيل.

.....»

وتظهرالنظرة او الرؤية الصهيونية الداعية الى العودة الى ارض اسرائيل لكل اليهود في انشودة «شواطىء» لجوقة الناحال العسكرية. وهذه القصيدة تؤكد على البعد القومي في التطلعات الصهيونية الداعية الى تحقيق حق العودة لليهود الى ارض ابائهم واجدادهم- ارض اسرائيل- التي تركوها قسرا عند خراب الهيكل العام ٧٠ للميلاد.

« شواطىء تشتاق احياناً لجدول

رأيت مرة شاطئاً قد تركه جدول

بقلب متحطم من رمل وحجر

والانسان، والانسان

من الممكن ان يبقى متروكاً

وبدون قوى تماماً كالشاطىء

وحتى الاصداف مثل الشواطىء ومثل الريح

والاصداف احياناً تشتاق لبيت احبه دائماً

الذي كان وفقط البحر

غنى وحده اغانيه

هكذا بين اصداف قلب الانسان

يغني له شبابه»

فاليهود كالاصداف قد القي بهم على الشاطىء ولكنهم يشتاقون دوما الى البحر بيتهم، اي ان اليهود الذين تركوا ارضهم والقوا بعيدا عنها هم في شوق دائم للعودة الى بيتهم الاصلي والاول.

فمن هذه الانشودة نفهم مدى عمق البعد القومي- الصهيوني في ربط مصير اليهود بالعودة الى ارض الاباء والاجداد كحل للغربة التي عاشوا فيها بعيدين عن مواطنهم الاصلية.

وتكتسب ارض اسرائيل بعدا قوميا تاريخيا هاما عند نقطة الربط بين الحاضر والماضي البعيد، فبالرغم من ان اليهود قد فقدوا ارض اسرائيل في الماضي الا انهم لم ينسوها، فهي قد بقيت في حياتهم جزءا تكوينيا تناديهم لينقذوها بواسطة عودتهم اليها، وهذا ما تعبر عنه انشودة «في مستوطنة الناحال في سيناء» لجوقة الناحال العسكرية:

« في مستوطنة الناحال في سيناء

لم تصدق عيني

عندما قابلت فجأة في الزاوية

ارض اسرائيل القديمة

ارض اسرائيل المفقودة

الجميلة والمنسية

وهي وكأنها تمد يدها

لتعطي لا لتأخذ»

وعالجت اناشيد الجوقات العسكرية قضية اليهود السجناء في روسيا والذين اطلقت عليهم الحركة الصهيونية واسرائيل «سجناء صهيون» واثارت قضيتهم في كل بقاع الدنيا للدلالة على ديكتاتورية ووحشية النظام السوفييتي الشيوعي ومعاملته العنصرية تجاه اليهود المطالبين بالحرية والديمقراطية، وكان المسعى الاسرائيلي خلال الستينيات والسبعينيات هو من اجل اطلاق سراحهم بإعتبارهم سجناء حرية على حد تعبير السلطات الاسرائيلية والهيئات الصهيونية العالمية. وبالفعل فقد وضعت انشودة خاصة لهذه الغاية تحت عنوان «نحن وانتم» لجوقة الناحال العسكرية، ومما جاء فيها:

«سوف يشرق الكوكب

وسوف نرى ضوءه

نحن وانتم

لهذا فإننا سنسلم الامل

من الاب الى الابن ومن جيل الى جيل

نحن وانتم

ومن سبب رجة لبيوت المدينة

في ليلة فرحة التوراة

نحن وانتم

ومن بنى اسرائيل

ومن ازهر سيبيريا

ومن نادى العالم ولم يسمع صدى لمناداته

نحن وانتم

ومن هو يولي دانييل

وسينيابسكي الخائن

نحن وانتم

....

لن تنقطع العلاقة معكم

سنصرخ معكم دون ان نعرف لمن

اطلق شعبي، اطلق شعبي».

البعد الزماني- المكاني

اهتم واضعو اناشيد الجوقات العسكرية على الاكثار من عاملي الزمن والمكان في معظم الاناشيد. فعامل الزمن يربط بين الواقع الحالي وبين التاريخ القريب والبعيد. ولا يتوقف هذا العامل عند حد الاحداث التاريخية التي ترتبط بتاريخ الشعب الاسرائيلي او بما له علاقة بالتوراة مباشرة، انما بمواسم واعياد دينية وشعبية- تراثية، مثلا ذكر عيد الفصح العبري عدة مرات في الاناشيد باعتباره عيدا له دلالات على تحرر اليهود من عبودية الفراعنة في مصر على يد النبي موسى. او في الاشارة الى عيد غرس الاشجار، وهو ذو دلالة صهيونية ابتدعته «الكيرن كييمت» لاسرائيل بهدف تغيير معالم فلسطين الجغرافية المنظورة، او بمعنى اخر لإخفاء معالم فلسطين العربية الاصلية المتمثلة بشجر الزيتون والبلوط والسنديان وغيره واستبدالها باشجار الصنوبر الاوروبي والسرو وغيره من الاشجار التي لا علاقة مباشرة لها مع فلسطين.

جندي اسرائيلي يحمل صورة لجمال عبد الناصر في خندق بسيناء العام ٥٦،

«كان هذا في يوم تو بشباط

حملنا شتائل بيدنا شتلنا

ونمت اثنتين اثنتين

واحدة طويلة واثنتين قصيرتين...» (من انشودة «واحد طويل واثنين قصيرين» لجوقة الناحال)(«تو بشباط» هو عيد غرس الاشجار لدى اليهود)

ويجد الكيبوتس جذورا تاريخية عميقة في انشودة «مستوطنة الناحال في سيناء» لجوقة الناحال العسكرية و بالرغم من ان نظام الكيبوتس هو حديث العهد يعود الى سنوات العشرين من القرن الماضي.

«اغاني راحيل وكواكب في الخارج

وكأنها قبل الف سنة في الكيبوتس

انا تماما فركت عيني

في مستوطنة الناحال في سيناء»

(راحيل من الشاعرات اليهوديات المعروفات والتي تحولت عشرات من قصائدها الى اغاني معروفة).

ويتجلى الزمن بشكل واضح للغاية وتبدو اهميته بالنسبة لسير حياة الاسرائيليين من خلال احدى اهم القصائد التي تركز على الزمن، وهي قصيدة «غدا» لجوقة الناحال العسكرية. ويرى واضع هذه القصيدة ان الامل موجود في الزمن الآتي وان الاستقرار الذي سيأتي بعد توقف الحرب هو الذي سيمنح الشعب الاسرائيلي الامن والسلام، ويبني كاتب القصيدة مسيرة حياة وتطور الاسرائيليين مستقبلا وانطلاقتهم في كل بقاع الدنيا، وان ما سيأتي به الغد ما هو الا واقع وليس حلما، كما يعتقد البعض من فاقدي الامل:

«غداً، من المحتمل ان نبحر بسفن

من شاطىء ايلات حتى ساحل العاج

فوق سفن قديمة

محملة بالتفاح

كل هذا ليس مثلا او حلماً

هذا واضح كشمس الاصيل

كل هذا سيأتي غداً ان لم يكن اليوم

واذا لم يكن غداً، فبعده

وغداً عندما يخلع الجيش ثيابه

يتحول قلبنا الى صمت

غداً كل شخص سيبني بيديه

كل ما حلم به اليوم».

وللمكان موقع متميز في الاناشيد التي تغنيها الجوقات العسكرية الاسرائيلية، وخاصة ذكر تسميات المواقع داخل فلسطين وخارجها. وفي الاشارة الى الاسماء الخاصة بمواقع فلسطينية فإن الاناشيد تبدي اهتماما بالاسماء الوارد ذكرها في التوراة، واسماء المستوطنات التي اقامها اليهود والهيئات الصهيونية الاستيطانية على مدار القرن العشرين في طول فلسطين وعرضها، وكذلك ذكر اسماء معبرنة وتم تهويدها لمواقع عربية فلسطينية. ونهج تهويد الاماكن والاسماء معروف في السياسة الصهيونية والاسرائيلية من منطلق رؤية اعادة اسماء الاماكن الى شكلها او صيغتها الصحيحة والاصلية بعد ان استعملها واقتبسها العرب الفلسطينيون عدة مئات من السنين. بمعنى ان الادعاء الاسرائيلي والصهيوني بشأن الاسماء ان العرب الفلسطينيين هم الذي اخذوا الاسماء العبرية وجعلوها عربية، وما قامت وتقوم به حكومات اسرائيل ما هو الا اعادة الشيء الى اصوله وليس تهويدا او اسرلة. والنماذج المتعلقة بهذا الجانب كثيرة للغاية.

ومن جهة اخرى وجدنا ان الإكثار من الاسماء المتعلقة بالمواقع التاريخية والاثرية والدينية في فلسطين في الاناشيد والاغاني هو بهدف تعميق معرفتها لدى ابناء الشعب الاسرائيلي، وبالتالي السعي الى تجذيرها

في الذاكرة التاريخية الجماعية بكونها- اي الاسماء- جزءاً من الميراث التاريخي والتراثي والقومي والمستقبلي لاسرائيل. اضافة الى ان هذه العملية جاءت لتؤكد ان اطلاق التسميات العبرية ما هي الا عودة الى الماضي الذي لم ينفصل عنه الشعب الاسرائيلي الا قهرا وقسرا، وما يقوم به من اعادة صياغة الاسماء بصورتها الاصلية هو للاشارة الى تواصل الربط واستمراريته.

ونجد ان بعض القصائد والاناشيد تدمج بشكل جوهري بين الزمن والمكان لتأكيد العلاقة الزمكانية بين الطرفين:

« الشمس تغيب بين غزة ورفح

والقمر يبيض فوق قمة الشيخ

ورود في الفوهة وبنات في البرج

يعود جنود الى المدينة» (من انشودة «ورود في الفوهة» لجوقة سلاح المدفعية).

وفي انشودة«ارض اسرائيل جميلة» لجوقة قيادة الجنوب اشارة الى جمال المكان في ارض اسرائيل سواء أكان في الجنوب ام في الشمال، فهو - اي المكان - متميز ومميز بحاله:

«والمرج الزاهر

والجبل الزاهر

والشمال المثلج

والجنوب الذهبي الخالص

كل الحقول تنفث رائحة

واللوز يُزهر

والشمس تشرق

على مياه الراحة

ارض اسرائيل جميلة

ارض اسرائيل تزهر»

وتبرز جوقة قيادة الجنوب اهمية ايلات كموقع استراتيجي بالنسبة لاسرائيل من منطلق كونها مدينة ميناء، او بوابة الجنوب، فمنها تنطلق السفن ليس الى اماكن معهودة ومعروفة ومألوفة كباريس وروما بل تنطلق السفن بعيدا الى جيبوتي وموميا وروديسيا والحبشة وزنجبار وماليزيا ومدغشقر لتصدير البرتقال، انها ايلات بوابة العالم الجنوبي. ولقد ذكرت ايلات في قصيدة «الى ايلات» سبع عشرة مرة للدلالة على الموقع المهم الذي تتبوأه هذه المدينة بالنسبة لعلاقات اسرائيل السياسية والاقتصادية والعسكرية مع الدول الافريقية والاسيوية في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي.

ومن الملاحظ اهتمام مؤلفي الاناشيد بربط الاماكن بعضها ببعض لبثّ فكرة تواصل العلاقات بين هذه الاماكن سواء أكانت في الشمال أم في الجنوب، ومن جهة اخرى للتدليل على علاقتها المباشرة بالرؤية الصهيونية وعلاقة هذه الاماكن بالمخطط الصهيوني الداعي الى اقامة وطن قومي للشعب الاسرائيلي في فلسطين. وعندها تصبح كل الاماكن في فلسطين ملكا تاريخيا لليهود، يتصرفون به كما يرون ذلك مناسبا، حتى الاسم تمت مصادرته من اصحابه الاصليين، سكان فلسطين الاصليين، اي الفلسطينيين.

وتشجع الاناشيد ابناء اسرائيل الى التجوال في طول البلاد وعرضها بواسطة السير بالارجل وعدم اعتماد السيارة في التعرف على البلاد، ومن الواضح ان قطع فلسطين على الارجل مضنٍ ومتعب ولكنه مثير للغاية من حيث امكانيات التعرف عن قرب وبدقة متناهية على الاماكن التي يمر بها المترجل، اضافة الى انه بقطعه البلاد رمزية وضع البلاد تحت سيطرته، وهذا ما نلمسه من انشودة «هوبا هيه» لجوقة المركز العسكرية:

«نحن نسير بالأرجل

هوبا هيه، هوبا هيه،

نحن نسير بالرجل

هوبا هيه !

لا يوجد هنا شعار وعلم،

هوبا هيه، هوبا هيه !

نحن نسير بالأرجل،

هوبا هيه !

من جبل النحاس القاتم

حتى، حتى جبال الثلج،

وصلنا ونحن هنا-

مع رجلينا.

جوقة الناحل – عام ١٩٦٩.

اذا كانت السيارة سريعة اكثر،

ولكنها تخرب،

لا توجد طريقة افضل من رجلتينا»

وتناشد جوقة قيادة الشمال الاسرائيليين القدوم إلى الشمال– أي الى الجليل– للاستيطان فيه بالرغم من قسوة مناخه وشدة شتائه. ومما لا شك فيه ان هذه الدعوة تتزامن مع مخطط تهويد الجليل الذي اطلقته حكومات اسرائيل ابتداء من بن غوريون وانتهاء بشارون. والهدف من توطين اليهود في الجليل هو مصادرة الاراضي من سكانه العرب الذين يشكلون اغلبية سكانه، وبالتالي الى تكثيف الاستيطان الصهيوني في هذه المناطق للحيلولة دون قيام العرب في الجليل بالتفكير مستقبلا بالاستقلال عن اسرائيل او المطالبة بنوع من الحكم الذاتي:

«الف اغنية للشمال

من الجولان حتى حرمون،

حتى كنيرت وحتى الرامة،

نغني والاغنية تصل الى عمان،

ويردد القفر الصدى (انشودة «الى الشمال مع الحب» لجوقة قيادة الشمال).

من الملاحظ ان ذكر الاسماء هنا غير محصور في منطقة الشمال بل يتجاوز الى منطقة عبر الاردن والقفر والجليل الاسفل وغيره. ولهذه الانشودة رؤية توسعية واستعمارية (اقرأ عنها في بند آخر من هذا المقال).

وتتعامل الاناشيد العسكرية مع الماضي بصورة انتقائية للغاية، فمن جهة تدعي وتشدد على الصلة التاريخية القائمة بين شعب الله المختار وبين ارض اسرائيل التي منحها الله لهذا الشعب، بينما من جهة اخرى تنادي بأن الماضي انتهى ولن يعود، وان بلاد فلسطين قد اصبحت تحت سيطرة واحدة بفعل الانشودة الواحدة والوحيدة التي تطلقها الجوقة:

«ما كان من زمان انتهى

الحسن والشر والبشع

وكل بلادنا الصغيرة

اخذت ترنم الانشودة (انشودة «دائماً تعلو النغمة» لجوقة سلاح الجو)

ونورد هنا جدولاً تلخيصيا لعدد كبير من اسماء الاماكن التي وردت في الاناشيد العسكرية:

	المكان	الانشودة	الجوقة
١	سيناء	في مستوطنة ناحال في سيناء	الناحال
٢	بئر السبع	لم يعرف اسمها	»
٣	كنيرت	كرمليت	»
٤	الجليل والنقب	»	»
٥	الجولان	كرنفال في الناحال	»
٦	البردويل	»	»
٧	الاردن	غابة اليوكاليبتوس	»
٨	مصب الاردن	مدرعات ٦٩	سلاح المدرعات
٩	سويس	درس تاريخ	» »
١٠	تل القاضي	» »	» »
١١	النيل والفرات	دائماً تعلو النغمة	سلاح الجو
١٢	مصر	رجال الصمت	سلاح البحرية
١٣	الكرمل	فقط في اسرائيل	» »
١٤	اورشليم	على قارعة الطريق	» »
١٥	غزة، رفح، قمة الشيخ	ورود في الفوهة	سلاح المدفعية
١٦	ايلات	مجهولون	قيادة الجنوب
١٧	دان	»	» »
١٨	باريس، روما، زنجبار، مدغشقر...	الى ايلات	» »
١٩	خربة جن	سائقنا حبوب	قيادة المركز
٢٠	بيت نبالا	» »	» »
٢١	دجانيا	» »	» »
٢٢	الحمة	» »	» »
٢٣	جنين	» »	» »
٢٤	لبنان	اليوم الثامن الاسبوع	» »
٢٥	البحر الميت	لدي محبوب في دورية خروب	» »
٢٦	حانيتا	تعال معي الى الجليل	قيادة الشمال
٢٧	اكزيب(الزيب)	» » » »	» »
٢٨	عبرون	» » » »	» »
٢٩	كرميئيل	» » » »	» »
٣٠	عيمق يزراعيل	ياعيل	» »
٣١	جلبوا ع	الى الشمال مع الحب	» »
٣٢	تابور	» » » »	» »
٣٣	دمشق	مملكة حرمون	» »
٣٤	بانياس	» »	» »
٣٥	كنيرت	» »	» »

المواقف السياسية

وتعبر اناشيد الجوقات العسكرية عن مواقف سياسية اسرائيلية محلية واقليمية بما له علاقة مع البلاد العربية المحيطة بإسرائيل، وبلاد اخرى بعيدة. وتؤكد هذه الاناشيد على قدرة اسرائيل السياسية في التصدي للمعارضين والاعداء.

وكنا اشرنا في الفقرات السابقة الى موقف اسرائيل من اليهود الروس بحيث انها نصبت نفسها المدافعة عنهم والمطالبة بحقوقهم وخاصة انها روجت في العالم على انهم سجناء حرية ودعت كل الهيئات العامة العالمية العاملة في ميادين حقوق الانسان الى السعي لدى السلطات السوفييتية الى اطلاق سراحهم (في انشودة «نحن وانتم» لجوقة الناحال).

وتطلب انشودة «اولاد خريف ٧٣» لجوقة سلاح التربية من رجال السياسة الاسرائيليين السعي الى توقيف الحرب والعمل من اجل تحقيق السلام بعد ان قدموا وعودا كثيرة بهذا في السابق. ومن الواضح ان الضربة العسكرية التي تلقتها الجيوش الاسرائيلية في حرب اوكتوبر عام ٧٣ هي التي اوحت بهذه الانشودة التي عكست منعطفا حادا في مسلسل الاناشيد والاغاني العسكرية المتنوعة. المميز في هذه الانشودة انه تملك موقفا سياسيا وانسانيا واضحا يشير الى الغضب العارم في صفوف الاسرائيليين اثر نتائج الحرب المذكورة. وهذا الغضب دفع كاتب كلمات الانشودة الى اظهار جوانب جديدة في رؤية المجتمع الاسرائيلي الى علاقاته مع شعوب المنطقة الاخرى. فلا يمكن ان تبقى اسرائيل هي ذات السطوة في منطقة الشرق الاوسط، فها هو الاوان الى وضع اليد على عربة الامل والحلم بالسلام:

«عندما ولدنا كانت البلاد

جريحة وحزينة

نظرتم الينا وعانقتمونا وحاولتم

العثور على تعزية

وعندما ولدنا بارك الكبار بعيون دامعة

وتمنوا الا يذهب هؤلاء الاولاد الى الجيش

ووجوهكم في الصور القديمة تبين ذلك

بأنكم تكلمتم من اعماق قلبكم

عندما وعدتم أن تقلبوا عدواً لمحب

وعدتم حمامة

وغصن زيتون

وعدتم ربيعاً وأزهاراً

وعدتم بتنفيذ وعود

وعدتم حمامة».

وتشدد الاناشيد على مواقف اسرائيل الاستيطانية كجزء من السياسة الاسرائيلية التوسعية، وتدعم هذه المواقف ببراهين مستقاة من التوراة او من التاريخ الصهيوني الحديث. فاعتبار ان اسرائيل هي ارض مفقودة تمد يدها لتعطي لا لتأخذ، بمعنى ان تعطي مكانا للشعب المختار (كما ورد في انشودة مستوطنة الناحال في سيناء لجوقة الناحال).

وفي اعقاب الاعلان عن اقامة اسرائيل في العام ١٩٤٨ كثرت الاناشيد والاغاني التي مجدت بهذا الانجاز الصهيوني الكبير الذي لم تتمكن اية حركة سابقة لليهود من تحقيقه، وان اقامة اسرائيل ليس اسطورة بل واقع وحقيقي (اشارة الى ما اعلنه هرتسل من موقف بشأن القضية اليهودية في اوروبا في المؤتمر الصهيوني الاول في بازل العام ١٨٩٧ بأن اقامة دولة اليهود ليست اسطورة) وهذا ما تبنته انشودة «اليوم اليوم» لجوقة قيادة المركز:

«اضيئي ثلاث شمعات،

قولي كل شيء بهمس

أُصمتي

قولي ان ذلك ليس اسطورة»

وموقف اسرائيل من جمال عبد الناصر مبني على قاعدة السخرية والسعي الى تحطيم مشاريعه التحررية والقومية والوحدوية، وان الانتصار في حرب سيناء العام ١٩٥٦ (العدوان الثلاثي) دفع حكومة اسرائيل الى تبني موقف سياسي متشدد من خطوات عبد الناصر الداعية الى الوحدة العربية والتي تمثلت فيما بعد بالوحدة بين مصر وسورية العام ١٩٥٨.«ونبارك حتى لناصر بضربات كثيرة، لأن العشر ضربات القديمة غير كافية» (من انشودة «عقبال ١٢٠» لجوقة الناحال).

دور اليهودي في بناء العالم

تخصص اناشيد الجوقات العسكرية الاسرائيلية موقعاً لا باس به لدور اليهودي، والاسرائيلي خاصة، ومساهمته في بناء العالم وتقدمه وتطوره. وتشدد هذه الاناشيد على اهمية الدور الانساني والحضاري الذي يقوم به اليهودي بكونه صاحب رسالة انسانية متميزة عن بقية

الشعوب والامم في العالم.ومن جهة اخرى تؤكد الاناشيد على ان الاسرائيلي هو جزء من هذا العالم ومن مكوناته الحضارية.وما قامت به اسرائيل هو عينه التقدم الذي تصبو اليه دول كثيرة في العالم.

«كل انسان هو انسان–

فقط في اسرائيل.

طيارون هم طيارون–

فقط في اسرائيل .

مظليون هم مظليون–

فقط في اسرائيل.(من انشودة «فقط في اسرائيل» لجوقة سلاح البحرية).

الرؤية الاحتلالية– التوسعية

كان لإنتصارات الجيوش الاسرائيلية في حربي ١٩٤٨ و ١٩٦٧ اثر كبير في صياغة كلمات عشرات من اناشيد الجوقات العسكرية، خاصة وانها عكست الروح والحياة الاسرائيلية المشبعة بنشوة الانتصارات على الجيوش العربية خلال اقل من عقدين من الزمن، اضافة الى انها– اي الاناشيد– ساهمت بدورها في تعميق الروح التوسعية والاحتلالية الاسرائيلية، بل اكثر من هذا، فإن بعض الاناشيد شددت على اهمية الارتباط بالمكان الذي اصبح خاضعا لاسرائيل من منطلق انه من حق الشعب اليهودي ان يحقق حلمه في العيش في كل ارض اسرائيل، وها ان امنيته وحلمه تحققا بواسطة الحروب وليس بواسطة طريق السلام او العيش المشترك مع العرب او الفلسطينيين.

وعبرت الاناشيد التي وضعت في الفترة اللاحقة لحرب حزيران ١٩٦٧ على وجه الخصوص عن تطلعات الشعب الاسرائيلي الى وجوب توسيع حدود دولته من منطلق الحق الالهي والحق التاريخي، دون الاشارة الى اية شرعية دولية. والمعروف والثابت تاريخيا وسياسيا ان اسرائيل لا تحترم الشرعية الدولية على وجه الاطلاق، وهذا ما بينته الاحداث السياسية والتاريخية عبر العقود الستة الاخيرة منذ العام ١٩٤٧،

«اشياء كثيرة وجميلة رأتها عيني

في مستوطنة الناحال في سيناء

اشياء كثيرة وجميلة بسببها

اردت معانقة الجميع هناك

واطلاق همسة في وجوه المرتبكين

من يعطيني فندقا في الصحراء (من انشودة «مستوطنة الناحال في سيناء» لجوقة الناحال).

فمن الواضح هنا ان الرغبة في تعميق التواجد العسكري الاسرائيلي في سيناء بواسطة اقامة فندق، أي الاستفادة من سيناء ومقدراتها التاريخية والسياحية.

وحول موضوع سيناء اشارت انشودة اخرى لجوقة الناحال الى ان الشعب الاسرائيلي عاد الى جبل سيناء ليقف امام ربه مطيعا ومحققا حلم حريته، وان شعلة (عليقة) موسى النبي ما تزال مشتعلة لتؤكد على عمق العلاقة بين الشعب الاسرائيلي وربه:

«يا لهيب في عيون الشباب

يا لهيب في ضجيج المحركات

سيجري الحديث عن هذا اليوم يا اخي

عند عودة الشعب الى موقف سيناء

اخي هذا ليس حلماً

وليس هلوسة

منذ ذلك الوقت وحتى اليوم

العليقة مشتعلة، مشتعلة» (انشودة «مقابل جبل سيناء») .

ويلعب الجيش الاسرائيلي دورا رئيسيا في تحقيق التوسع والانتشار والسيطرة على مساحات واسعة من الاراضي العربية الفلسطينية وغيرها. وهذا الجيش يستحوذ على مكانة مرموقة في العقلية الاسرائيلية (سنأتي عليها فيما بعد) وفي الحياة اليومية، فهو اقرب الى البقرة المقدسة التي لا يجرؤ احد على توجيه النقد اليه والى قواده الا في حالات نادرة، ومن وجه نقدا تعرض الى اشد منه. ويبدو دور هذا الجيش في كونه الاداة التنفيذية للسياسة التوسعية الاسرائيلية:

«ها هو الجيش الاسرائيلي سينتصر وينتشر في المدى

وحتى وزير الدفاع لن ينزع حلته»(من نشيد «عقبال ١٢٠» لجوقة الناحال).

وتمكن كاتب نشيد «كرنفال في الناحال» من الاشارة بوضوح الى حدود التوسع العسكري الاسرائيلي في نشيد واحد:

«كرنفال في الناحال

من لن يأتي يخسر

تبرز اناشيد الجوقات العسكرية الاسرائيلية القوة الحربية للجيش الاسرائيلي وجنوده وتمتع هذا الجيش بدرجة عالية من التقنية واجادته فنون القتال المتنوعة التي اختبرها في معاركه على مدار العقود الاخيرة منذ اقامة اسرائيل. ولا يقتصر التباهي بالقوة العسكرية بل وبالتفوق العسكري الذي تتمتع به الفرق والكتائب العسكرية الاسرائيلية. ويصل الامر بهذه النظرة التفوقية الى رؤية فوقية جعلت من الجيش الاسرائيلي قوة اسطورية لا تقهر.

الشلالات النازلة

الاغصان المنجرفة

وكل المياه الجارية

تجرف وتجرف

يجري التيار القوي

من وادي سنير والجولان

ويخرج من محولا

في مهرجان فرح

في العربة صوت بوق

والى الامام نحو الصحراء

هناك المياه الجيدة تجري

لصيد الاسماك في بردويل»

ربطت هذه الانشودة بين الجولان وبحيرة بردويل عند قناة السويس، والعنصر الاساسي المركب لهذه الانشودة هو السيطرة على مصادر المياه. ومصادر المياه بالنسبة لاسرائيل هي اساس مركزي في صراعها مع العرب وخاصة الدول المحيطة بها.

وفي انشودة «الرحلة الكبرى» لجوقة الناحال وهي طويلة ولكنها تعكس الروح التوسعية والاستعمارية الاسرائيلية في وصفها رحلة كبرى لا تنتهي بالرغم من انها محددة لاربعين كيلومترا. وان هذه الرحلة مستمرة وغير متوقفة في سعيها من اجل اكمال السيطرة على البلاد واحكام القبضة على كل مواقعها الاستراتيجية.

«انهينا مسيرة الاربعين كيلومترا مع انتهاء اليوم

ومرة اخرى من نفس المكان بدأنا مسيرتنا مجدداً

لأنه من يرغب في العودة الى البيت

فلدينا غزالة

ومين

وحمار

وفتاة من عندنا

وقطيع ماعز

من جبل كورازيم

فرح معهم ويمكننا الاستمرار في الرحلة بدون توقف»

وتشترك الاناشيد في رسم حدود الدولة العبرية من خلال تسميات مواقع تقع على الحدود في كل الجهات: «من جبل النحاس القاتم

حتى جبال الثلج،

وصلنا ونحن هنا–

مع رجلينا»

اي ان طريق اقامة الدولة وتحديد حدودها لم يكن بالامر السهل، فهو احتاج الى جهد جسدي قوي.

وفي انشودة «مملكة حرمون» لجوقة قيادة الشمال وضوح في الرؤية الاستعمارية والتوسعية، فالمحب– هكذا يرد في الانشودة– مستعد لتشييد قصر في مملكة حرمون من اجل حبيبته، وهو لن يتنازل عن حبه لها، فمن قمة مملكة حرمون يستطيع ان يرى دمشق:

«مع الفجر ينهزم الليل،

يغوص المرج في التنور،

تنبلع دمشق في الافق،

والجلبوع يعانق تابور»

اي انه اختار اعلى موقع ليقيم مسكنه هناك، وهذا الموقع مهم للغاية بالنسبة لاسرائيل، فهو موقع استراتيجي وبالتالي فيه مصادر مائية تشكل شريان بقاء اسرائيل من وجهة النظر الاستراتيجية والمستقبلية، ومياه البانياس وتل القاضي والحاصباني هي كالتبر الخالص، وهي المملكة بحد ذاتها. وحرمون هو الاسم الآرامي القديم لجبل الشيخ الذي احتلته اسرائيل مع الجولان في عدوانها على الاراضي السورية في العام ١٩٦٧.

وحول استعداد الجيوش الاسرائيلية الى التحرك والتوسع في كل الاتجاهات تعكس انشودة «دورية اغوز» لجوقة قيادة الشمال هذا الجانب:

«في هذه الليلة ستدخل الدورية عميقاً،

غداً تعبر مياه الاردن،

وتعود الى البحر الاحمر

وفي صباح جديد فوق الجبل تغني»

العلاقة بالأرض- العمل والزراعة

«خلاص (انقاذ) الارض» من بين الاسس والمبادىء المركزية التي اطلقتها الصهيونية منذ ان بدأت تروج لفكرة اقامة وطن (دولة) لليهود في فلسطين. وارتبطت عملية خلاص الارض بالعمل العبري على هذه الارض. وتطور استخدام هذين المصطلحين حتى اصبحا ركنا اساسيا في تحضير ابناء الهجرات اليهودية المختلفة الى فلسطين. وتمحور العمل في الارض في قطاع الزراعة وبواسطة تطوير مفهوم العمل بالارض على يد عمال عبريين تجري بالتالي عملية الاستيلاء والسيطرة على جزء من الاقتصاد العام في فلسطين.

لاقت هذه الشعارات رواجا وقبولا في اوساط التيارات الصهيونية المختلفة عبر التاريخ الحديث، اي منذ نهاية القرن التاسع عشر وحتى بعد اقامة اسرائيل، خاصة وان الكيبوتسات والموشافيم رفعت شعار العمل بالارض عاليا، الا ان هذا الشعار أخذ بالاضمحلال شيئا فشيئا منذ اواخر السبعينيات حينما جرى تشغيل العمال والمزارعين الفلسطينيين في المصالح الزراعية اليهودية عوضا عن المزارع اليهودي، بل ان ظاهرة المزارع اليهودي اختفت بالكلية من اجواء اسرائيل.

ودمجت بعض الاناشيد بين مهام الجندي والعمل في الارض وخاصة في الزراعة ، فالاثنان يعملان من اجل خدمة الشعب والوطن.

«يعرف جندي حذق

وهو نقل ذلك الى الجيش

بأنه يجب تطوير الصنف

وتحسين تطعيمه

وقرر أخذ سنبلة

وتركيبها

خرج الناحال الى الحقول

رقصة ملفوف ورقصة سبانخ

بندورة على حربة

رقصة ناحال مدوخة

رقصة خسة، رقصة فجلة

رقصة دبابة موصولة مع بغلة

رقصة طناجر توتيا

رقصة ناحال مدوخة

رقصة مستعمرة(مستوطنة)

****

الجندي يعمل في الزراعة

والمزارع يصوب الى الهدف بدقة

والناحال يعرف كيف يجب إثمار الارض

ويكتب في التقرير ان كل جولة سقاية

للفجل والجزر هي عبارة عن استثمار بعيد المدى

****

هنا سنابل واقفات على أُهبة الاستعداد

كل شجرة ممشوقة كجندي

ومعرفة جيدة بالميدان

كل شيء منظم ومرتب ومهيأ وبدون ضجة»(انشودة «رقصة مستعمرة» لجوقة الناحال).

التفوق والفوقية والقوة العسكرية

تبرز اناشيد الجوقات العسكرية الاسرائيلية القوة الحربية للجيش الاسرائيلي وجنوده وتمتع هذا الجيش بدرجة عالية من التقنية واجادته فنون القتال المتنوعة التي اختبرها في معاركه على مدار العقود الاخيرة منذ اقامة اسرائيل. ولا يقتصر التباهي بالقوة العسكرية بل وبالتفوق العسكري الذي تتمتع به الفرق والكتائب العسكرية الاسرائيلية. ويصل الامر بهذه النظرة التفوقية الى رؤية فوقية جعلت من الجيش الاسرائيلي قوة اسطورية لا تقهر. وفي واقع الحال ان هذا هو الشعور الذي كان سائدا في الشارع الاسرائيلي حتى حرب اكتوبر العام ١٩٧٣ حينما باغتت القوات المصرية والسورية الجيش الاسرائيلي وحققت سلسلة من الانتصارات التي ادت الى تحطيم هذه الصورة، وبالتالي الى فرض واقع جديد ومتغيرات سياسية وعسكرية على ارض الواقع في الشرق الاوسط.

وتزخر الاناشيد العسكرية بتصوير الجندي الاسرائيلي والجيش بصورة المتفوق دائما والساعي دوما الى تحقيق الانتصار تلو الانتصار على العدو في كل الجبهات.

وللجيش الاسرائيلي مكانة في قلوب الشعب الاسرائيلي، كما اشرنا الى ذلك آنفاً، حتى انه يعتبر مبلورا لصورة وشخصية المجتمع الاسرائيلي وباني أُسسه الحياتية:

«من المفهوم اننا تطوعنا لجيش الدفاع الاسرائيلي

حتى نرفع المعنويات

فجرنا بدون صعوبة ثلاثة رموز:

واحد طويل واثنان قصيران»(من نشيد «واحد طويل واثنان قصيران» لجوقة الناحال)

وتمنح الاناشيد الجندي الاسرائيلي صورة فوقية وتفوقية عن بقية الجنود في العالم، فهو مختلف عنهم بقدرته وقوته وذكائه وحركته:

«كالاخرين هو يرتدي الخاكي

وفي رجليه حذاء عالٍ

الا انه بعيني هو لا يشبه احداً

هو وحيد من نوعه ومميز جداً» (من نشيد «الى احد الجنود» لجوقة الناحال).

وتبلغ القوة الحربية للجيش الاسرائيلي درجة ان فرقا عسكرية مستعدة دائما لضرب العدو بكل وسيلة دون ان تتردد، ولا يهم هذه الفرق اي نوع من انواع الطقس يحدث فهي متفوقة على حالات مناخية معقدة واحوال جوية صعبة:

«عند مصب الاردن

في ام شرط وام صوص

في حقل النخيل

في ساحة النخيل

في الصيف الاحمر والقائظ

لكن الحدود حمراء وملتهبة اكثر

هناك المدرعات هناك المدرعات

مركبات الحديد ورجال الفولاذ

في مرتفعات الجولان

سواحل العواصف

مقابل ثلوج مجمدة

ورياح عاصفة

من مواقع مدافع الشمال

ينتشر الصمت وينظرون الى الشرق

في الصحراء الصفراء

في طرق رمادية

على ضفاف القناة

في اعماق الحفر

قبضات جاهزة للضرب

إن اتى أو لم يأت السلام»(نشيد «مدرعات ٦٩» لجوقة المدرعات)

وقوة سلاح الجو الاسرائيلي ضاربة في تاريخ اسرائيل، ولسلاح الجو مكانة خاصة لدى الاسرائيليين، ويعتبرون ان من ينجح في الانخراط في صفوفه فهو من النخبة المتفوقة علميا ومتميزة اجتماعيا. فسلاح الجو الاسرائيلي مهيمن على المناطق المختلفة خارج حدود اسرائيل بما فيها كل المناطق الواقعة بين النيل والفرات :

«من الفضاء الذائب

الذي يدعوني للدخول

وفيه أُحلّق نحوك

ومن الأُفق الابيض

ومن المسافة الضيقة

بين النيل والفرات ما كان قديما قد انتهى...»(نشيد «دائماً تعلو النغمة» لجوقة سلاح الجو).

وتنضم جوقات الاناشيد والاغاني العسكرية الاسرائيلية الى لعب دور مهم ومركزي في تعميق ثقافة الامن في اوساط الاسرائيليين، «فكل ما تريده في العالم هو موجود في اسرائيل»، وان اسرائيل متفوقة على كثير من بلاد العالم، «وبإمكانك العيش فيها وفقط فيها»، وبلغ الامر بهذه الفوقية ان أُطلق على احد اناشيد جوقة سلاح البحرية عنوان «فقط في اسرائيل»، وهذه مقاطع منها:

«كل الشعب في الاحتياط –

فقط في اسرائيل.

المتطوعون مسرورون –

فقط في اسرائيل.

الكرمل ينحدر الى البحر،

ديسكوتيك يغلق باكراً –

فقط في اسرائيل.

الكيبوتس والموشاب –

فقط في اسرائيل.

اورشليم الذهبية –

فقط في اسرائيل.

اولاد في التعليم الالزامي –

فقط في اسرائيل.

البرتقال الأكثر حلاوة –

فقط في اسرائيل.

عيد ميلاد الشجرة –

والكنيرت مقابل الجولان –

فقط في اسرائيل.

كل انسان هو انسان –

فقط في اسرائيل....»

وتستحوذ ثقافة الامن موقعا اماميا في حياة الناس حتى ان العاشق بالرغم من حبه وتعلقه بعشيقته فإنه على اتم الاستعداد لأن يتنازل عنها في سبيل الانضمام الى صفوف المقاتلين والقيام بواجبه الوطني. فالعمليات الحربية اهم بكثير من الحبيبة والمعشوقة. فالجندي منهمك طيلة الاسبوع ببرنامج حربي ثقيل، فمن هجوم الى غارة في كل موقع من البلاد، في الصحراء والبحر والشرق والنهر:

«يجتاز صحراء وماء ايضاً

ويهجم على اعدائه من السماء

يأكل كالحصان ويشرب كالجمل

ويوم الاربعاء الخميس منشغل

على ما يبدو في عملية حربية

علاماتها الغبار والوحل

ويلاحق اخرين في البحر الميت...»(نشيد «لدي محبوب في دورية خروب» لجوقة قيادة المركز).

وتصل ثقافة الامن والعسكرة في المجتمع الاسرائيلي الى درجة التشديد على انشغال الجندي في خدمته العسكرية، وان هذه الخدمة هي اهم من كل مركباته ومكوناته الجسدية والعقلية والجمالية الخارجية. فغير مهم ان يكون لديه صديق دائم او ان يتمتع بوقت فراغ للتسلية والراحة، فالانشغالات الحربية تستحوذ حيزاً مركزيا مهماً في حياته.

«عندك فم احمر وحار

وشعر فحمي اللون

وقلب رحوم لا مثيل له....

ولديك ما لديك

وقالوا لك هذا بالتأكيد

ولكن المصيبة

ان لديك اكثر من اللازم....

لديك جسم بدون خلل

ومشية تثير الدم

لديك رأس يُبدّل تسريحاته كل اسبوع

ولكن الخسارة أنه لا صديق دائم لديك

لديك ما لديك»(نشيد «لديك ما لديك» لجوقة المركز).

جاهزية الجيش الاسرائيلي وبطولة جنوده

احد اهم وابرز مكونات الجيش الاسرائيلي هي مسألة جاهزيته للدفاع عن اراضي اسرائيل وحدودها وحماية السكان المدنيين، كما يعلن رجال السياسة الاسرائيليين دوماً. ومن هذا المنطلق تتطلب مسألة الجاهزية بناء دائم لخطط هجومية ودفاعية في آن معاً، وكذلك تدريبات ومناورات حربية مستمرة لكافة قطاعات الجيش على مدار السنة. ولا يتوقف الامر عند هذا الحد بل يمتد الى تطوير وتحديث الجيش، وخاصة ادخال انواع جديدة ومتقدمة من الاسلحة. وبالمقابل تعمل قيادة الاركان على تجهيز الجندي من الناحيتين المادية والمعنوية. وإظهاراً لهذا الامر فإن الأناشيد التي تطلقها الجوقات العسكرية التي نحن بصددها لم تألُ جهداً في خوض هذا الباب من خلال عدد كبير من الاناشيد والأغاني العسكرية. هذه الاناشيد تعكس مدى اهتمام مؤلفيها بالتشديد على رفع معنويات الجندي، وتصويره بطلاً ومغواراً، وايضاً تصوير العدو بكونه ضعيفاً ولا يمتلك نفس قوة وبأس الجندي الاسرائيلي. وجرى ربط هذه الاناشيد ببعض الجوانب التوراتية، خاصة اقتباس بطولات وردت اخبارها في قصص التوراة، او بطولات قام بها جنود وقادة سياسيون صهيونيون واسرائيليون في السابق. ففي نشيد «واحد طويل وإثنان قصيران «لجوقة الناحال تشديد على ان تجند الاسرائيليين في الجيش الاسرائيلي هو لرفع المعنويات (ولم يُشر واضع هذا النشيد الى الجهة التي تحتاج الى رفع المعنويات، ولكن من الواضح والمفهوم انها عمومية تشمل المجندين والمدنيين). ويشير نفس النشيد الى الربط بين التجند والخدمة العسكرية وبين العقيدة الدينية:

«القصة كانت محزنة ورهيبة

فحتى ننقذ النفس

نزل من السماء ثلاثة ملائكة

واحد طويل وإثنان قصيران»

والاشارة في هذا النشيد على وجه التحديد الى مشاركة ملائكة السماء في انقاذ جنود كانوا قد تورطوا في عمل ما.

أمّا الجندي الاسرائيلي فيحمل اعباء كثيرة وفي مقدمتها القتال والمساهمة في تحقيق الإنتصارات, ولكن النشيد «تعالوا نتغلب» لجوقة الناحال قد رسم صورة لجاهزية وبطولات الجندي الاسرائيلي:

«إذا عملت نهاراً بالطورية

وتسلل متسلل في الليل

عندها العطلة لن تأتي

وهذا هو الناحال يا حبيبي يا ابني

الطعام غير مهم

حتى لو اختلطت قطعة خبز مع رمل

سنتغلب على الصعاب»

وأكد «نشيد الناحال»ان الجندي الاسرائيلي دائم الجاهزية وهو على اتم الاستعداد في كل لحظة لخوض المعارك. وهذا النشيد يبين لنا كيفية رفع معنويات الجندي وزملائه في ميدان الاستعداد الدائم للقتال:

«ناحال، ناحال

ما زال يشحذ رمحه

العدو قادم

ناحال، ناحال تجهز اليوم

اذا استدعونا للسلم او الحرب

ناحال، ناحال لن نتهاون ونتراخى

بفرح نُرسل وجوهنا الى هناك

عند الحدود نقيم خيامنا

لا توجد صخور تعترض طريقه

لا يوجد عدو يقول له انسحب

لأن الناحال، الناحال صامد في ايام البرد

ومبارك عمله في ايام الهدوء».

وكان لإنتصار اسرائيل في حربها ضد مصر العام ١٩٥٦ (العدوان الثلاثي) انعكاساته على الشارع العام والجنود بشكل خاص، وتمثل هذا الأمر في نشيد «حتى ١٢٠ لجوقة الناحال»:

«ها هو الجيش الاسرائيلي سينتصر وينتشر في المدى

وحتى وزير الدفاع لن ينزع حلته

حتى ١٢٠».

اي ان وزير الدفاع سيبقى جاهزاً بالرغم من سحق العدو. وهذه اشارة واضحة للغاية بالنسبة لجاهزية الجيش وقيادته لمواجهة العدو في

كل لحظة.

والجندي الاسرائيلي الذي تمت تربيته على جاهزية دائمة هو مستعد لخوض المعارك على الحدود وفي الجبال والاودية، وبعد تحقيق انتصاراته ستزهر الارض وينمو القفر»(من نشيد «لم نأكل بعد» لجوقة الناحال) اي انه سيتيح الفرصة لإنماء الارض وإزهارها بالشكل الذي يجب ان تكون عليه الارض.

ولم تتنازل الاناشيد عن مسألة المتابعة في رفع المعنويات وجاهزية الجيش والجندي حتى لو تكبد الجيش الاسرائيلي خسائر في بعض قطعه الحربية. وقد عبر نشيد «ملزمون بمتابعة العزف» لجوقة سلاح الجو عن حالة تحطم طائرة حربية وتلتها طائرة اخرى، وإذا وُجد قائد أو لم يكن موجوداً سيتابع سلاح الجو مهامه حتى يعرف الجميع مدى قوة سلاح الجو الاسرائيلي:

«لدينا طريقتان للعزف

واحدة حسب النوتة المكتوبة –

واحيانا لا توجد نوتة

لا توجد نوتة فيجب العزف بالأعالي

وهذا ما فعلناه

ورغم ان الاوتار قد تقطعت

إلاّ أن النغمة كانت حسنة

وسُمِعت جيداً للغاية

وسنواصل إسماعها»

ويجعل نشيد «فقط في اسرائيل»الذي اشرنا اليه سابقاً، من كل الشعب جنودا في الاحتياط، اي انهم جاهزون، حتى المتطوعين منهم، وابناء الكيبوتس وكل انسان، لن ينعسوا ولن يناموا في حال تجندهم في سلاح البحرية الاسرائيلي. وكرر هذا النشيد كلمة «اسرائيل» ١٦ مرة بعد كل مقطع للتشديد على انها هي المحور، وكل ما يقوم به الجندي او الناس هو فقط من اجل اسرائيل.

وتظهر بطولات الجنود الاسرائيليين من خلال تخليدها في الاناشيد. والبطولات لا تعني ان يعود الجنود كلهم دون ان يسقط عدد منهم، البطولة هي في التضحية من أجل الآخرين، وعدم التنازل عما تؤمن به الدولة الاسرائيلية من حقها في الاراضي التي حررها الجيش الاسرائيلي على مدار سنين طويلة كلفته دماء كثيرة، كما يروج قادة وساسة اسرائيل:

«انطلقنا أكثر من مئة شاب

نحو تلة التحموشيت.

من سقط سحب الى الوراء

حتى لا يُضايق

الى ان يسقط الآتي في الدور

على تلة التحموشيت.

من الممكن أننا كنا أُسوداً

ولكن من اراد العيش

لم يكن من المفضل ان يكون

على تلة التحموشيت.

وفي المساء عدنا سبعة

....» (نشيد «تلة التحموشيت» لجوقة قادة المنطقة الوسطى – المركز)

مفهوم السلام وبعده في الاناشيد

كما تطرقت الاناشيد الى مفهوم الحرب والقتال والدفاع فإنها – اي الاناشيد – عالجت مسألة السلام من وجهة النظر العسكرية الاسرائيلية. ولكن من الملاحظ ان التغييرات التي حصلت وتحصل في المجتمع الاسرائيلي بسبب الاوضاع الحاصلة على الساحة الفلسطينية – الاسرائيلية والاسرائيلية – العربية القت بظلالها على تعابير وكلمات الاناشيد الخاصة بالسلام، او التي فيها اشارة وتلميح لهذا الجانب.

فبينما كان نشيد «عقبال ١٢٠» لجوقة الناحال اشار الى نموالاقتصاد وازدهار الحياة في اعقاب الانتصار على مصر في العام ١٩٥٦ دون استخدام كلمة «سلام» فإن نشيد «أُغنية للسلام» للجوقة نفسها والذي غناه رابين وقيادة حزبه واتباع ما سمي بمعسكر السلام في الليلة التي إغتيل فيها في الخامس من تشرين الأول ١٩٩٥، كان هذا النشيد مغايرا للغاية، إذ عكس تغييرا جذريا في فهم حاجة المجتمع الاسرائيلي الى السلام اكثر من اللجوء الى الحرب والقتال، وكلمات النشيد تفوح بالأمل والرخاء الذي سيجلبه السلام على ابناء الشعب الاسرائيلي. والنشيد عام وغير مخصص بكلماته الى الجيش الاسرائيلي، انما لم يرد فيه ذكر لا للشعب الاسرائيلي او الفلسطيني، مما منحه مساحة اوسع من الشهرة والشعبية:

«اعطوا الشمس أن تُشرق

وللصبح أن ينير

الفائز بالصلوات

لن تخيبنا

من أطفئت شمعته

وفي التراب دُفن

حتى البكاء الشديد لن يوقظه

لن يعيده الى هنا

لن يعيدنا اي شخص

من بئر عميق مظلم

هنا لن تنفع فرحة الانتصار

ولا اناشيد التهاليل

لهذا غنوا أُغنية للسلام

ولا تهمسوا بصلاة

من المفضل أن تغنوا للسلام

بصوت مدوٍ

.....

احملوا عيونا فيها أمل

ليس عن طريق النوايا

غنوا أُغنية للحب

وليس للحرب

لا تقولوا سيأتي يوماً

انتم احضروا هذا اليوم

واصرخوا في كل الميادين

من اجل السلام»

من الملاحظ هنا ان التوجه نحو السلام في الاناشيد هو مرن وقابل للتغيير، بينما لاحظنا التشدد في مسألة الجيش والحرب، وعدم التنازل عن جاهزية الجندي والجيش الاسرائيلي، وهذا بالطبع نابع من الخوف الدائم المسيطر على القيادة العسكرية ورجال السياسة.

علاقات اسرائيل مع دول في العالم

سعت اسرائيل منذ تأسيسها الى اقامة علاقات دبلوماسية واقتصادية وعسكرية مع عشرات من الدول في كل انحاء العالم. وكان اهتمامها منصباً على إظهار نفسها بأنها قادرة على إختراق الحصار العربي الذي فرضته الحكومات العربية على اسرائيل، وايضا انها قادرة على تجاوز المقاطعة الاقتصادية العربية بطبيعة الحال وتلك التي نفذتها دول غير عربية بناء على ضغوط من الدول العربية لوجود مصالح مشتركة فيما بينها.

واهتمت اسرائيل ببناء علاقات لها مع دول في افريقيا واسيا في الخمسينيات والستينيات بهدف ترويج منتوجاتها وتقنيتها في مجالات الزراعة والصناعة وبالتالي لبناء اسواق لصادراتها. وكان لبعض الاناشيد دوره في إظهار مهارة وحنكة رجال السياسة الاسرائيليين في بناء علاقات مع دول اخرى . وهدفت الاناشيد التي عالجت هذا الانجاز السياسي والاقتصادي والعسكري الى الرفع من معنويات الجنود كي لا يشعروا ان العالم ضد اسرائيل، بل ان بعض الاناشيد جعل من اسرائيل منطلقا للحياة والتجارة في العالم:

«عندما كان هنا رئيس فولتا العليا

استعدت جوقة الجيش لعزف النشيد الوطني

خمس ساعات انتظرنا في الخمسين الشديد

وعندما وصل في النهاية استقبلوه بالغناء

ونحن لم نأكل شيئا

وشيئا لم نشرب

وإذ لا يوجد شمبانيا ولا كافيار

اعطونا خبزا وزيتونا»(نشيد «لم نأكل بعد» لجوقة الناحال).

فواضح ان مسألة العلاقات اهم بكثير من الأمور العادية كالأكل، فالأمر الاخير سهل تدبيره.

وخصصت جوقة قيادة الجنوب نشيدا لمدينة ايلات لتصوير هذه المدينة الواقعة في اقصى جنوب اسرائيل والتي يستصعب كثيرون الوصول اليها لأنها بوابة اسرائيل نحو العالم الجنوبي و فالسفر من ايلات لبناء علاقات ليس مع باريس ولندن المعروفتين بل الى:

«جيبوتي

صدرت شحنات من الشعر

ولومباسا

تنك زيت الأوز

والى روديسيا والحبشة وزنجبار

وكينشاسا

وبولونيزيا

يجوز ان نصدر برتقال

إن شاء الله

في مناقصات.

والى كلكتا ارسلوا احمالاً من الجرائد

والى كمبوديا صناديق ساعات

والى سايغون وهندوراس

والى ايران التي كانت تعرف بفارس

وماليزيا

واندونيسيا يجوز ان نصدر ليموناً

إن شاء الله

بكميات....»

وقد ذكرت ايلات هنا ١٧ مرة للتأكيد على دورها في تسهيل مهمة اقامة علاقات بين اسرائيل وبين دول اخرى في العالم على مختلف المستويات وفي كافة ميادين الحياة.